عباس النوري

فكرة عراق جديد "حديث"... محارب من أنظمة...

تسعى الأنظمة المحيطة بالعراق لتشويه سمعة العملية الديمقراطية الجديدة، وهمهم الوحيد إسقاط التجربة الفتية بكل الوسائل... وإن كان ذلك من خلال دفع المرتزقة لقتل المئات من الأبرياء.

ولدى السلطة التنفيذية وثائق كثيرة تدين تلك الأنظمة، ولكن العراق مجبر للوقوع في فخ المقايضة، وأمريكا لا تحمي العراق كما ينبغي... بل تدفع جهات لعرقلة الوضع السياسي والأمني دون أن تكون متورطة بشكل مباشر.

يقال أن أمريكا هي التي صنعت "القاعدة – بن لادن" وغيرهم، ويشكك البعض في هذا لأن منا من يؤمن بنظرية المؤامرة ويتصور بأننا نفرح لها وندعوا لها ومتمسكين بهذه النظرية لأننا غير قادرين لا على تحمل المسؤولية ولا لدينا أدنى قدرة من خلق فكر جديد تطور مجتمعنا ونبدأ في بناء دولة حديثة.

الدول الصناعية لا يمكن لها الاستمرار في تحقيق الرفاهية لمجتمعاتها إن لم تستمر في الإنتاج، ولا يمكن أن تستمر بالإنتاج إن لم تكن هنا آلة دمار لكي يبدأ الأعمار... فخلق الحروب أمر مفروض ومحتم، ولا يمكن أن نجد عاما أبيض في تاريخ العالم، بل أن أسعار الفولاذ تتغير بسبب عدد الحروب... وكذلك النفط والذهب والفضة وأغلب المواد الغذائية. نعم، الشعب العراقي يتحمل الجزء الكبير من كل ما يجري عليه، لأنه ليس صاحب قرار، ولم يحاول يوما أن يكون صاحب تغيير، بل طيلة تاريخ العراق سلم أمره لقادته السياسيين ولقائده الضرورة، ويتحمل المثقفون الحصة الكبيرة في هذا التردي.

العراق الجديد – يقصد عراق ما بعد الدكتاتورية، وهذا العنوان يعد خطرا كبيراً على الدول المستبدة لشعوبها، ولا يمكن أن نجد دولة محيطة بالعراق تتصرف وفق معايير الدول المتطورة التي تعطي للمواطن فسحة من الحرية أو تجعل للإنسان قيمة وكرامة يمكنه من العيش ولو بقدر من الرفاهية التي ينعم بها المواطن في الدول الصناعية... وقد كثر الحديث عن الفوارق بين دول الشمال ودول الجنوب... ويبقى مصطلح الدول النامية ملاصقا لنا بينما ينعم الملوك والأمراء والرؤساء بملذات الحياة ما طاب منها دون رادع ضمير أو قانون أو أي حراك شعبي.

قدمت نماذج من الفكر الواعد والواعي للمرحلة والمستبشر بالمستقبل، لكن أصحاب هذه الأفكار جوبهوا بالكثير من الانتقاص والتضليل والتحريف والعداء... حتى أن كثيرا منهم تحول لمستبد أو ناصر المستبد أو انحرف بسبب الخوف والوعود. ومنهم هرب للعيش في بلاد الخير والأمن والأمان في بلاد لا تحركها قتل الملايين من الشعوب المستضعفة في حروب، أو موتهم بسبب الجوع والأمراض التي تنتشر بين الحين والآخر... ومن أين مصدر كل تلك المآسي... نعم أنا مع الذي يقول أن ذلك كله بسبب جهلنا وبعدنا عن العلم والمعرفة... لأننا لم نكتشف العدو الحقيقي. لا تسمح الدول المحيطة بالعراق بأن الأسلوب الديمقراطي الحقيقي ينجح، لأن بذلك نهاية طغيانهم وهدم عروشهم وقتل فكرة توريث الأبناء والأحفاد مقاليد السلطة والسلطنة، ويسقط مشروع تحويل الجمهوريات العربية لممالك أبدية. لأن ما يحاولون أثباته في العراق من خلال توظيف القتلة والمجرمين وإن كانت بأسماء مثل "القاعدة" وغيرها من مسميات ذات صبغة إسلامية... يراد ضرب عصفورين بحجر... ضرب العملية الديمقراطية وضرب الفكر الإسلامي لأن أفكارهم سقطت منذ زمن، والفكر الوحيد الذي بقى يتأرجح عند النظرية المطلقة لصاحب السمو وولي العهد والسلطان العتيق وأمير الأمراء وصاحب الجلالة... وهلم جراً. الأرضية الاجتماعية في العراق مهيأة لفرص القتل والفوضى "الفوضى الخلاقة" أكذوبة تابعة لنظرية قد تصلح وتكون حق في مواضع يراد بها الباطل بعينه في العراق. هذه الأرضية وفرت ملايين الدولارات على الجميع... لأن في العراق قوميات وأديانا ومذاهب متعددة ويمكن استغلال الفوارق لخلق الفتن. والمرتزقة منتشرون ويمكن شراؤهم لتنفيذ مخططات إجرامية... وهل يمكن لأي شخص نفي أن من وراء هكذا عمليات قتل جماعي تقر لا عدة ولا مال أو أنها من تخطيط دول. الفكر الجديد – الذي تخشاه أمريكا قبل غيرها من دول المحيط أننا نحاول بناء دولة المواطنة بدل دولة المكونات التي زرعوها وأصبحت نوعا من الثقافة السياسية لأغلب القادة المتنفذين في الدولة العراقية الحالية – وقد يسميها البعض بالمرحلة الانتقالية – لكن هل لهذه المرحلة من توقيت زمني وفرض مكان معين دون أمكنة لم تطبق. هذه الفكرة الجديدة لا يمكن للأعداء مواجهتها علناً، لأن في هذه الحالة تفضح سرائرهم وتتكشف عوراتهم وتذهب أموالهم ومؤامراتهم إدراج الرياح. لذلك سوف يتجلون للانتقاص من أصحاب هذه الفكرة وإن لم تكن جديدة لكنها غير مجربة على أرض الواقع العراقي، ولا أتصور بأن الشعب مستعد لتقبل هذا فالشعب يرضى بكل جديد طالما ينقذه من المأساة والكوارث التي يقع فيها يومياً، لكن ليس مستعدا للتعامل مع الفكرة من أجل التطبيق العملي والفعلي على أرض الواقع المهزوز بفضل الإمدادات التي تدخل العراق ومن وراء تنفيذ تلك المخططات من داخل العراق. دولة المواطنة أكبر خطر على جميع الدول المحيطة بالعراق الممالك العتيقة، والممالك التي في طور البناء والإنشاء. فكرة دولة المواطنة ستقضي على كل أنواع التمزيق للحمة العراقية الوطنية، وإن تحقق هذا الأمر فإنه بدوره سوف يسقط عملية استغلال الفوارق الطبيعية بين المجتمع العراقي قومية كانت أم دينية أو مذهبية.

وبذلك تمنع جميع التدخلات في الشأن العراقي وأعني جميع التدخلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى وإن كان للعراق أسوار تحيط به من كل جانب كأسوار برلين وتحطمت فلا يمكن لأي نظام لدول الجوار أو لدول بعيدة المس بحاضر العراق ولا حتى بمستقبله...

ومن يقبل أن يكون كذلك؟.

نقاط ملونة

عدنان الحسني

المطالعة

متاعب الحياة وانشغال المرء في ان يحيى اسعد الايام ويقضي ما هو فيه على افضل حال في ان يقتنع بما اوتي وان تكون سيرته محمودة حيث ان هناك كثير من الامور التي لن تخضع لتلك المتطلبات وصعوباتها ومن هذه المطالعة. حيث ليس هناك رياضة تنفع لتحريك العقل وديمومة استقراءاته مثل القراءة اذ انها تزيد في المعرفة وتتراكم المعلومة لتصبح اكثر اصالة كي يتم استيعابها من خلال طرحها لتكون مقبولة لدى المتلقي ويكون المعلوم منها مقبولا سواءا كان ذلك متوائما مع ما يريده المتلقي ام لا هناك من يشقى لينال ما يؤمن به عيشه وان ينال حظه من الحياة وكل يسير في هذا المنوال يتساوون في المسير ولكنهم يختلفون في الوصول وفي تفاوت النتائج فيقال عن ذاك انه متميز ويقال عن هذا انه ليس كذلك وهكذا تختلف الرؤى وتتباين الاراء الا ان الابداع يبقى واضحا اذ انه اي الابداع ليس بحاجة الى استنتاج فالتميز نتيجة لاعمال وليس ممارسة الفعل نفسه ورغم التطور الحاصل في مجالات الحياة كافة سواءا كان ذلك بالنسبة لادوات الاتصال او النقل او التدوين بعبارة اخرى في شتى مجالات الحياة اقتصاديا كان هذا المجال ام صناعيا ام زراعيا ام في نواحي اخرى من الحياة رغم هذا التطور الحاصل الا ان الثقافة لا تكون مضطردة مع هذا التطور الحاصل فعلا وليس هناك ادنى شك من ان هناك ضربا من الثقافة اساسها الاستيعاب لكل ما هو حاصل من التطور في نواحي المعمورة وان الجميع يستفيد من هذا التطور الحاصل من خلال استيعاب الحالة المتطورة بالنسبة لهذه العلوم والمعارف ثم ان تراكم الثقافات مهما كان نوعها او اصالتها لابد من خضوعها لمقاييس العادات والتقاليد حيث ان العادات والتقاليد جزء من الاستيعاب الثقافي تتميز بها شعوب عن سواها كما ان الفلكلور والموروث الشعبي هو جزء من ثقافة الشعوب تتميز بها الشعوب عن سواها الا ان الاستيعاب وتنامي الموروث الثقافي يخضع للتطور الاضطرادي ليس على حساب الانسلاخ من القيم التي تحملها المجتمعات او العادات والتقاليد التي تتصف بها امة من الامم ولكن ضمن هيكلة متنامية اساسها الاستيعاب والقبول في الاني من الزمان والمكان وعلى وقع هدهدات رفيف اجنحة العنادل المتخذ من الاغصان المتدلية بالورد كانت الانامل تداعب الاوتار المرتجفة لتوقض الذكرى من سباته عل الصبح يجيء ليعانق الشمس من جديد وقفت مسمرا تحت رذاذ المطر المتناثر هنا وهناك انتظر الباص لاستقله الى الاتي من المكان ولكن انما انتظار ليس انتظارا مملا يطول بمسافاته الى الحد الذي يجعل الملل يمل هذا الانتظار بل انه انتظار لا يتعدى بضع دقائق عن الموعد المحدد ان لم يكن في الوقت عينه وانا اصعد الباص اخذت مكاني من الجلوس وكانت الحافلة فيها مقاعد فارغة الا من بعض الاشخاص هنا وهناك لم اجد احدا منهم الا وقد امسك بيده كتابا سمر عينيه فيه حاسرا عينيه كل حين ليرى مقصده من الوصول ولما وصلت وجهتي نزلت من الحافلة لادخل المكان حيث كان مقهى صغيرا لم اسمع الاصوات المتعالية من النواحي ورنات الدمينو او ما شابه ولكني رايت الجالسين وقد امسك بعضهم بكتاب راح غائصا فيه يطالع...

يونادم بنيامين

قراءة في استراليا قلبي الاخضر

سوف أتناول نصف – استراليا قلبي الأخضر – لأنها طويلة لا أستطيع أي لا أتمكن من سحب كل خيوط القصيدة في رُمانة واحدة في رمانتين وبيد واحدة، فمصيرها عدم الغور فيها ويكون عملي فيه نوعاً من العجالة وهذا لا أريده، ولنا وجها لوجه مع شاعر أعرفه وهو يعرف ماذا أعني لان القصيدة هي حالة من حالات الانشطار الذهني السليم عندما يمر شاكر سيفو بهذه المحطات فهو في كل لمحة تصدر له قصيدة وفي كل خطوة يعلو نشيد وهو في حاله وترحاله وذهابه وانتقاله يرتو ويصيدُ ويغزوهُ التعب الشاعري فيلوذُ الى نبيذه كي يهدأ أعصابه المرهفة والشاعرية فوق الشاعرية لذا في سيدني تسري الكائنات في أول بداية لقصيدة غريبة أين كتبت أينما كتبت فهي لاشرقية ولامحيطية فيدخل "لم المحيط" ويمضغ سراب المحيط والكناغر رأيناها منذ كنا في الخامس الأبتدائي لوزارة المعارف أيام زمان وقفزاته وحضنه وأبوابه لولده والسماء تشربُ دموعَها هذه مطروقة من لدنه في أكثر من نص وهو يشاطرني القول والقفلة التي يقترفها من حيث لايدري وهذا ليس نقصا بل ردما وتوظيفا سليما أتركه في سروره الاسترالي – ويذكر اسماء لا أدري كيف حفظها، حيث لي في كل هذه أصدقاء وصور ورسائل تركتها في بيت عتيق من البتاوين قريبا من رأس الخيمة على أبي وأبو الجميع – نؤاس – الكأس والتمثال والشارع أيام السبعينيات. ويبين الفرق الشاسع بين راعٍ في كوكجلي وغنمه وجرس كبشه وفي أرض نوا محصودة بالحاصودة "الدرّاسة" على مقربات من بغديدي بلدته الجميلة حيث يقول "الرعاة هنالك ملوك، وأباطرة يتامى يمضغون الزبيب".

ونحن الشرقيين نمضغ التمر الزهدي الرخيص لأن صاحب الغنم دينه الحليب والصوف ومزيدا من الخراف أما شاكر فيبين هذا الفرق بين الراعي في الشرق والراعي الملك في استراليا.

وفي حالة أخرى شاعرية وظفها في قصيدته "يُحسد لها" وهي من صنع أنامله وعاشت يده وكفه وجسده وتعافى قلبه مدى الدهر "تئن المياه تحت أقدام السفن: الكائنات كلها تُثرثر، تضحك بالأعاجيب" بهذه الطريقة يسحب شاكر سيفو اللبيب القارئ الحقيقي ويذكر مجموعة في ملبورن. كأنه يقول – بغديدا، كرمليش، كوكجلي، بحزاني وخازر كلك ياسين أغا – بهذه الأستطاعة يعني اليراع يعني الكتف الشاعري والهمة التقيحية لشاعرية كامنة فيها طاقات خلاقة ولا أريد أن أتبجح، قيد شعرة أو أنملة نقدية – بقدر ما عرضت هذا النص لورقتين وتركت نصفها لعين ناقد يرى ويشاهد أكثر من قلمي ومن رؤياي المتواضعة لزرقة قادمة وضباب خليجي فوضوي في رحلة شاقة فضلت طريقة كزار حنتوش المطلوبة في قراءة قصائد الآخرين وكأني أضع هذه الطريقة حيث يتناول آخر ما تبقى من القصيدة وكأن الراحل يقول كما تقلب "قدر الدولمة" في صحن كبير في مضيف كبير هذه المفارقة أذكرها. وأترك ما يقوله شاكر سيفو في هذه القصيدة المنشورة في مجلة "نجم بيت نهرين" العدد "٤" آذار ٢٠٠٩ – ٦٧٥٩ آشورية حتى النخاع "المحيط الهادي أسطورة ترفع أسطولها إلى هامة الرب على كتفيه تحترب النوارس".

د. غضنفر حكمت

تيارات... وفساد سياسي

العجز عن تفسير وجود هذا الكم الهائل من الظواهر الحزبية أدى بنا إلى قبول واستسلام تامين لكل العناوين التي توغلت في العملية السياسية، ونحن على يقين إن الأتباع الذين انخرطوا تحت هذه التحزبات والتكتلات والفئوية سواء كانت طائفية أو غير طائفية، عنصرية أو غير عنصرية، فهي لا تتعدى في النهاية أكثر من صراعات مرتبكة أفرزتها المجتمعات النامية المتخلفة – قادة وشعوبا – وبكل ما تحمله من تدفاعات الاختلال الذهني وما يتخلله من حالات مرضية كاللوثة، داء العظمة، روح الزعامة، ناهيك عن الثقة العمياء بالنفس البعيدة عن القدرة الحكيمة بالتفكير السليم.

الانتماءات المشتتة هذه التي تفقد الإنسان إنسانيته، ما هي إلا انحطاط في قوة العقل البشري وتردي في المفهوم الإنساني، ومهما كان الأمر فبإمكاننا القول إن الديمقراطية في العراق أتاحت لنا الظروف لتفهّم المسار الصحيح للعزوف عن السلوك المتدني من خلال الأخطاء التي وقعنا فيها والنكسات التي أنهكت العراق.

لقد خضنا معتركا كبيرا في طرح الآراء الهزيلة والمشتتة، وعبّرنا عن مواقف لا تخلو من أنانية وحقد قد يصفها الكثيرون بالمواقف المائعة وما تعلوها من صيحات مبعثرة وتصريحات لا مسؤولة تنطلق اثر نزعات غير مستقرة، حيث إن الأغلبية "تكتم وتدّعي" لا تفصح عن النوايا والولاءات المبطنة بقدر ما تتبجح بادعاءات وإغراءات رخيصة. هذا التخبط عزيزي القارئ الكريم ما هو إلا ترهل وهشاشة في الموقف السياسي الذي أدى إلى هذه الفوضى العارمة، ومن خلال هذه الفوضى عملنا من حيث ندري أو لا ندري على تشويه الصورة الحقيقية للديمقراطية.

أجل لقد أسأنا التصرف كثيرا ولن نمارس الديمقراطية بشكلها الصحيح بل مارسناها بأشكال فوضوية مقيتة ولم ندرك إننا غارقون في الفوضى ظنا منا بأننا نمارس الحرية، حيث اختلطت علينا المفاهيم بين الانتظام والتسيب وبين الامتثال للقوانين والانفلات الوضيع وابتعدنا عن الرقيّ حتى غدونا في فوضى تطحن الرؤوس.

مرت الاعيب سياسية كثير على الشعب العراقي منها خارجية ومنها داخلية وعلى مر العصور بقي شعبنا في العراق صامدا في وجوه التيارات العاصفة ذات المصالح والنوايا السيئة.

ومن أولويات ما يتحاشاه المواطن العراقي اليوم و يتحذر منه ويستنكره هو انتقال العدوى من التلوث الحاصل في مفاصل المؤسسات الحكومية والدوائر الرسمية من فساد إداري ومالي بين الأوساط الوظيفية إلى الأروقة السياسية، باعتبار إننا اليوم أمام حالة جديدة من فساد آخر من نوعه يسيطر على البلاد. أجل أيها الإخوة الأعزاء إننا أمام خطر يهدد وحدة البلاد، خطر "الفساد السياسي" المتفشي في الانتشار. لابد من وقفة لإعادة النظر في هذا الأمر حماية لعراقنا، الهدف الذي يسعى إليه دعاة الديمقراطية المعتدلين الاصلاء لخلق عراق جديد يليق بطموحنا المشروع نحو تطبيق الديمقراطية تطبيقا حكيما. ولننظر إلى تطلعات شعبنا في تحديد رؤيته، ومعرفة مصلحته، لتقرير مصيره سعيا لأخذ دوره الحي المعاصر أسوة بشعوب ودول العالم المتقدم.

أ.د. سيّار الجَميل

الحوار العربي – التركي

جرى حوار عربي تركي في اسطنبول قبل قرابة أسبوعين، وبقدر ما اخلص البعض من الطرفين، كي يكون حوارا عمليا ومثمرا بناء لمستقبل مشترك، بقدر ما كان البعض يمشي في اتجاه متعاكس من هذا الطرف أو ذاك! لقد بدا واضحا، أن اختلافا موجودا بين عقليتين عربية وتركية. كان الطرفان –كما يبدو – غير مستعدين للحوار الحقيقي، مع نقص معرفي وعدم تمتع برؤية واضحة! جاء الطرف العربي ليثرثر محاورا في قضايا لم يكن الطرف التركي مستعدا لسماعها، في حين حضر الطرف التركي ليسمع أكثر مما يتكلم! لقد تكلم العرب كثيرا وتكلم الأتراك قليلا.. بعض المشاركين العرب جاءوا ليحاوروا من دون دراية لما يريده الأتراك.. ومشاركون أتراك حضروا وهم لا يعرفون ما يريده العرب، الذين حاوروا أنفسهم أكثر مما حاوروا الأتراك! وفي فترات الاستراحة، لا تجد حوارا بين طرفين بانكفاء كل طرف على نفسه!. إن المشاركين العرب حضروا كل الجلسات، في حين أتى بعض المشاركين الأتراك كي يلقي ورقته ويختفي! قبل ١٦ عاما، جرى في بيروت حوار عربي تركي مشابه، ولكن كان التفاعل كبيرا، والحوارات أكثر جدية، والموضوعات أكثر أهمية.. لم يحدث أي تراكم معرفي بين ذاك وهذا، بل وان مشاركين عربا، حضروا اليوم من دون أن يطلعوا على أعمال ذاك الحوار الخصب مطلع التسعينيات.. ولم يحضر أي مشارك تركي من حوار بيروت إلى حوار اليوم. ويخطئ من يقول أن تركيا قد انفتحت على العرب بعد انغلاق طويل، إنها منفتحة على العرب منذ زمن طويل، ولكن ضمن شروطها ومصالحها.. وإذا كانت اليوم قد زادت من انفتاحها، فلأن العرب هم الذين يسعون إليها أولا، ولملء الفراغات التي حصلت ثانيا.

خلال العام ٢٠٠٩، شهدت بنفسي ثلاثة أنواع من اللقاءات العربية التركية في اسطنبول، أولها كان في جامعة مرمرة حول العلاقات التاريخية بين الطرفين، وثانيها كان في مبنى بلدية اسطنبول حول عقد اتفاقيات اقتصادية، وثالثها كان هذا الحوار العربي التركي.. وتبين واضحا أن الأتراك يهمهم في الدرجة الأساس العراق وسوريا، قبل أن يهمهم أي بلد عربي آخر.. ربما هناك علاقات اقتصادية وسياسية متطورة مع هذا أو ذاك.. ولكن كراتهم لا يريدون إسقاطها إلا في سلتين اثنتين يمثلهما العراق وسوريا كونهما يشاركان تركيا حدودها الجنوبية، ولأن مصالحها معهما اكبر بكثير من أية مصالح عربية أخرى.

هذه المعادلة لم يفهمها الطرف العربي، أو انه يدركها، ولكنه يريد أن يزاحم العراق وسوريا مكانتهما الجغرافية! إن تركيا قد تبحث لها عن أدوار سياسية إقليمية، ولكن أهدافها الأساسية تكمن في كيفية الاستفادة من بناء مصالح كبرى قوامها الاقتصادات والاستثمارات والتجارة والترانسيت والطاقة والأسواق.. الخ إن من يثرثر مع الأتراك باسم ٢٢ دولة عربية يثير استهزاءهم، فهم يدركون تماما أن ليس هناك مصالح حيوية بينهم وبين موريتانيا أو السودان أو جيبوتي، بقدر ما تكمن مصالحهم الحيوية مع العراق وسوريا! وكنت أتمنى أن تعالج مشكلة المياه بين الدول الثلاث المتشاطئة: تركيا وسوريا والعراق في جلسة كاملة، نظرا لأهمية "الموضوع" وحيويته للعرب قبل الأتراك، وقد اكتفى المشاركون العرب بتقديم مجرد "تعقيب" حول موضوع المياه، ولكن الضرورة كانت ماسة لمعالجته على مهل وتقديم معلومات واسعة، مع ضرورة تقديم ورقة متكاملة عن مشروع الغاب التركي الذي يقود اليوم ثورة زراعية في جنوب شرقي تركيا.. ومدى استفادة كل من العراق وسوريا من حصصهما المشروعة من المياه.. وهل ثمة إمكانية لتطوير مشروع الغاب في كل بادية الجزيرة الفراتية بين سوريا والعراق؟ هذا لم يجر البحث فيه طويلا، بالرغم من إثارتي له لأكثر من مرة!. جاء الطرف العربي ليس ليحاور في قضايا حيوية وجوهرية، ويوظف كل دقيقة من اجل بناء مسيرة طريق ومستقبل مشترك.. بل جاء ليحكي عن الاستراتيجيات المركزية والتغزل باردوغان وحزبه الإسلامي وإعجابه بالمسلسلات التركية التلفزيونية، بل وليتدخل في الشأن التركي متسائلا عن دور العسكر في السياسة التركية.. جاء ليتكلم باسم ٢٢ دولة، من دون أن يدعم قوة العلاقات الاقتصادية والسياسية بين تركيا وجوارها العربي، فالطرف العربي شتات، هذا يريد الزعامة، وذاك يبحث عن مصالح خاصة! وعندما تكلم العرب أيديولوجيا، كان الأتراك يرثون عليهم باسم الواقعية. قال احد السفراء الأتراك في تعليقه على ورقة عربية: لقد كنا مثلكم قبل خمسين سنة من اليوم، ولكننا اليوم أكثر واقعية! انتم تتكلمون بالمطلق العربي، ونحن نتكلم بالمتناسب التركي!

ثمة ورقة تركية تقدّم بها احد المشاركين الأتراك، موضحا ومقارنا على الشاشة وأمام الجميع حجم الصناعات التركية، إذ بدت تركيا الدولة المصنّعة الأولى في المنطقة، وتأتي إسرائيل من بعدها، إذ يتصاعد حجم منتوجات تركيا طويلا مقارنة بحجم التصنيع عند العرب الذي يصل في اغلب الأحيان درجة الصفر، مما اشعر بعض المشاركين العرب بالحزن جراء ضحالة دور العرب الاقتصادي ليس في العالم، بل في الإقليم نفسه! أما البعض الآخر من العرب، فلم يتململ أبدا، فالأمر لا يعنيه –كما يبدو–، فهو يؤمن حتى اليوم بشعارات وهمية قديمة عفا عليها الزمن! وأخيرا، للأسف الشديد بقي المتحدثون العرب يدورون حول أنفسهم في الجلسة الأخيرة التي غاب عنها أغلب الأتراك، وبقي العرب لوحدهم يتحاورون ويثرثرون حتى النهاية!.

لطيف القصاب

فوائد ومضار الاختلاف

لا جدال في ضرورة وجود الاختلاف في الحياة البشرية فبفضل هذا العامل أكثر من الأخذ والرد استطاع هذا الكائن البشري أن يحوز على مراتب التفوق والشرف على أقرانه من أنواع المخلوقات الأخرى إلا أن هذا العنصر الفعال في حياة بني الإنسان يغدو في الكثير من الأحوال مصدرا من مصادر القلق البشري لاسيما إذا انتهى الأمر بالمتجادلين إلى العنف وسفك الدماء وعلى أية حال فان ثمة مستويات رئيسية ثلاث تتراءى أمام الباحث في دهاليز فلسفة الاختلاف الإنساني وما ترتكز عليه من دوافع ومبررات وما تنتهي إليه من أهداف وغايات وهي بهذا الوصف تنقسم إلى الآتي:

أولا: الاختلاف العلمي

ثانيا: الاختلاف الفكري

ثالثا: الاختلاف السياسي

الاختلاف العلمي

الملاحظ على هذا النوع من الاختلاف انه يمثل المصداق الأكبر لدلالات الاختلاف الايجابية، فمع كل احتدام نقاش في مسألة علمية ما يمكن التوقع بداهة ببروز عطاء جديد من شأنه أن يخدم حركة الإنسان إذا ما أحسن استخدامه بطبيعة الحال، أما إذا تحول هذا العطاء العلمي الجديد إلى وسائل تلحق الأذى بالجنس البشري كله أو بعضه فهذا ليس من ديدن العلم البحت عادة بل إن الشبهات ينبغي أن تحوم حول المعطيات السياسية التي تدفع العلوم المجردة في بعض الظروف باتجاهات مفروضة من شأنها إلحاق ضرر هنا ودمار هناك وكما سوف يرد في ما يلي من حديث.

الاختلاف السياسي

تلعب العوامل المصلحية والأنانية الدور الأكبر في استشراء ظاهرة الاختلاف السياسي وهذا الاختلاف ليس حكرا على جماعة إنسانية دون أخرى بطبيعة الحال ولكن في المجتمعات التي يغلب عليها طابع الفقر والجهل يمر هذا الاختلاف تحديدا بتغييرات دراماتيكية ما أسرع أن تنتهي إلى نتائج مؤسفة يذهب ضحيتها في غالب الأحوال من هو أكثر عرضة من سواه إلى تداعيات عاملي الفقر والجهل أما في المجتمعات الأكثر تحضرا فقد توصل العقلاء لديها وبدرجات متفاوتة إلى الاتفاق بصورة مدونة أو شفاهية على تنظيم وإدارة الاختلاف بحيث لا يخرج المتخاصمون إلى طور الاحتراب والدموية فيما بينهم.

وهكذا فقد رشح عن إجماع الكلمة في هذا الإطار ولادة جملة من المفاهيم خرجت بدورها من رحم ما تعرف بالدساتير التي نصت على وجوب الالتزام قولا وعملا بحقوق وحريات أساسية في مقدمتها:

- حرية الصحافة
- حق المواطنة
- المجتمع المدني
- التعددية الحزبية
- التداول السلمي للسلطات

وقد كان للمفهوم الأخير الكلمة الفصل في الحيلولة دون تطور الاختلاف السياسي بين الفرقاء إلى الانجراف في محاذير تصفية الخصوم وإنتاج حمامات الدم بقدر ما شكل غيابه في الدول المتأخرة عن الركب الحضاري المتقدم إلى إحلال الموت محل الحياة.

الاختلاف الفكري لعل ابرز ما يتقاسمه هذا الاختلاف مع نظيره العلمي من أوجه شبه وتباين يتجلى في أن كلا من الاختلاف الفكري والعلمي من شأنهما الارتقاء أو الانحدار بمستوى حاضر ومستقبل الإنسان.

ولكن موضع الاختلاف الدقيق بينهما يكمن في أن الاختلاف الفكري بخلاف نظيره العلمي لا يُدفع دفعا نحو الهاوية بعوامل سياسية لأنه ببساطة هو من يشكل الأرضية الخصبة والقاعدة الحاضنة لجميع الأجندات السياسية المعروفة وتلك التي لم تعرف بعد حتى الآن، وأمام هذه المشكلة المستعصية طالما عاش الناس مغلوبين على أمرهم حتى أولئك الذين يتخيلون توهما أنهم هم الغالبون...

واحتاج البشر مع هذه الورطة المزرية إلى رسائل تأتيهم من عالم فوق عالمهم المتفوق، وهكذا فقد بعثت الإرادة الإلهية مع كل حقبة من تاريخ الإنسانية بهداة تضيء مشاعلهم طرق الظلام إلا أن الفكر المضاد للنور كان وما يزال يتوصل إلى ابتكارات ظلامية تعيد الإنسان إلى مربع البداية الأول ألا وهو مربع الحرب والاقتتال ودائما على أسس فكرية. إن المطلوب من المجتمعات الإنسانية جميعا أن تنتبه إلى عظم الخطر الذي يشكله الاختلاف الفكري بينهم لاسيما المرتكز على الأيدلوجيتين الدينية والقومية وما ينبعث منهما من فروع مذهبية وعرقية وان يتحمل العقلاء في هذه المجتمعات مسؤولية الإبقاء على مفاهيم التعايش السلمي بين الناس حاضرة في الأذهان والتصرفات وبيان خطأ الفكرة التي تدعو إلى تنميط المجتمع بلون ثقافي واحد يقمع الهويات والثقافات التي شاء خالق الإنسان أن تكون متمايزة أو متميزة كما في قوله تعالى "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين" وان يسعى العقلاء جاهدين إلى نزع فتيل التطرف من الفلسفات الفكرية بكل أنواعها إلى جانب التوعية الحثيثة بمضار الاختلاف الفكري على شعوب العالم جميعا وعدم السماح للنهج الفكري أن يستخدم ذرعا سياسية قامعة تضر بأمن وسلامة الإنسان وعليه فلابد من إقرار وحماية مبادئ حقوق الإنسان ذات العلاقة بحرية الكلمة وحق المواطنة والتعددية الحزبية وضرورة الإذعان إلى مفهوم تداول السلطات كما تمت الإشارة إلى ذلك سابقا عند الحديث حول الاختلاف السياسي.

• مركز المستقبل للدراسات والبحوث.